

بمعرفة الله عز وجل تتحقق الحكمة من خلق الناس

من المعاني التي يدور حولها الدرس

١. اقتضت حكمة الخالق عز وجل أن يخلق الخلق ليعرفوه، وليعبدوه حق عبادته حتى يتيقن كل مخلوق أن الله لم يخلقه عبثاً. (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ).

٢. تناول الشيخ (رحمه الله) في الكثير من دروسه موضوع الصلاة لأنها صلب الدين وعماده، ولأنها أصل التوحيد، ويكفي المؤمن أن يعلم أنها أول شيء يوضع في ميزانه .

٣. على المسلم أن يتعبد بما شرع الله، فلا يكون منه إفراط أو تفريط، أو غلو أو تقصير.

٤. لا يرفع عمل المسلم إلا بطابع العبودية حيث كانت أشرف المقامات وأجلها (سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا).

٥. سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله. الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة الله، ورجلان تحابا في الله ... الحديث.

٦. إذا وفق الله عبده لعمل صالح فعليه أن يحرص تمام الحرص ألا يدع إلهام الفجور يبدد ما عمل.

٧. حينما تعرض الحديث النبوي الشريف للبعة الذين يظلمهم الله بظله يوم القيامة بين لنا أن المؤمن يصل إلى مستوى من اليقين محمود بحيث أنه لو كان إماماً لعدل، ولو كان متصديقاً لبالغ في إخفاء صدقته، ولما ترك الشيطان يفسد عليه عمله. ولو اختلى بأجنبية ، لكانت العفة تاجه.

٨. **احفظ الله يحفظك** ... الخ أي احفظ الله بتنفيذ أوامره، يوفقك في اجتناب نواهيه.

٩. التقوى فعل المأمور، وترك المحذور، والرضا بالمقدور.

١٠. قلوب الخلق بين إصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كيف يشاء.

قال تعالى في محكم التنزيل: (**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**). يضع الخالق القضية الكبرى أمام كل مخلوق ليتقن أنه لم يخلق إلا لحكمة إلهية وهي أن يعرف الله حق المعرفة، ويعبده تمام العبادة، ثم لفست نظر هذا الإنسان فيقول عز وجل: (**وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**) حتى يعلم نهايته. ويوم أن يعلم نهايته سيحاسب نفسه قبل أن يقف بين ربه معاتباً ومسئولاً: والحق حينما خلقه لم يتركه

يفعل كيف يشاء وأنى يشاء؛ بل وضع له المنهج، وأرسل إليه
الرسل ، ثم وضعه تحت رقابة من الملائكة الكرام (وَإِنَّ
عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ • كِرَامًا كَاتِبِينَ • يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) وفي
آية أخرى بين له الحق مدى قربيه منه، وأنه مطلع عليه، يعلم
ما يدور داخل نفسه فقال عز من قائل :

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ
أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) أي العرق الذي في عنقه. بين
لعبده صفات ربوبيته في قوله: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ
الْوَرِيدِ) ربما لا يدرك الإنسان هذا المعنى. لكن الحق وضحه
في آية أخرى فقال سبحانه. (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ
رَقِيبٌ عَتِيدٌ) الحق كخالق لا يمكن لعقل أن يكيفه أو
يتصوره، لكن من اليسير بمكانه أن يتصور ملكاً ومعه سجل
يكتب فيه: والحق يقول: (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)
فالكون كله قائم على نوره سبحانه وتعالى: " فالعلم نور،
والعقل نور ، والحياة نور، عينك نور ، أذنك نور. وهنا
يسأل أحد المستمعين وكيف هذا؟ قال الشيخ (رحمه الله)
ألم تسمع بأذنك ؟ ألم تر بعينيك .؟

قال الحق (وَنَعْلَمُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ) أي عِلْمَ أَزْلًا . لكن
الملائكة تسجل (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ
قَعِيدٌ) وهنا أمر توحيدي هام (إن التسجيل الذي يقوم به
الملائكة لا يسجلون حسب علم الله الأزلي كلا إنما يسجلون
على حسب الواقع، وما يصدر من الإنسان ساعة عمله) .

والملائكة الكتبة غير الملائكة الحافظين: (وَإِنْ عَلَيْكُمْ
لِحَافِظِينَ • كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) . يفسر الآية
هذه قول الله سبحانه وتعالى: (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِنْ خَلْفِهِ • يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) أي بأمر الله وقدرته .
وضرب الشيخ مثلاً لهذا الحفظ فقال: ركبت مجموعة
سيارة . وما كادت تنطلق السيارة حتى اصطدمت بأخرى
مات الكثير فيها ، وبقي البعض نجا من الموت . هؤلاء
الناجون هم المحفوظون من شر هذه الحادثة، وهذا الحفظ من
الله وحده وبأمر منه، ولا دخل لمخلوق فيه، ملكاً كان أو
إنساناً - ثم أثار الشيخ كلاماً عظيماً فقال: أنا مستعد أن
أعيد كل كلمة شرحتها لأني أحب أن تخرجوا بفائدة . وإلا
لكان أسهل شيء علي أن أقضي ليلتي في قصة أسردها

بحيث تستغرق الليلة. لكني أرفض ذلك. لأني أريد أن أعيش وتعيشون معي جوّ التوحيد الحق. (وما وجدت قضية أخطر في نظري من قضية الصلاة ؛ لأنها صلب التوحيد وعماده ؛ لأجل هذا فأنا أتناولها في أغلب أحاديثي عملاً بقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (أول ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة الصلاة، فإذا قبلت قبل سائر عمله. وإذا رفضت رفض سائر عمله) . • معني الحديث، خاصة ولأنها تشمل كل التكاليف الشرعية، ولأن الصلاة تقربك إلى الله ، والأعمال الأخرى تقربك إلى الجنة. وكيف تُقرب من الجنة ؟ عندما تؤمن بالجنة ، ولن تؤمن بالجنة إلا بالعبودية ، والتذلل لله خالق الأرض والسموات. والحديث القدسي يقول: (**ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه.**) وليست الفرائض في الصلاة فقط بل كلمة الفرائض عامة، تشمل أموراً كثيرة. ولذلك كانت التقوى في ثلاث: فعل مأمور، وترك محذور، والرضا بالمقدور. والمأمور كل ما أمر الله به ، والمحذور كل ما نهى عنه الحق . • فالمأمور أن يطالبك الله في عمل

يجبه ، والمحذور أن ينهاك عن شيء يكرهه سبحانه فإذا ما أدت الصلاة ، هناك أمور غيرها، المسلم مطالب بها. فإذا ألقى المسلم عليك السلام وجب على المسلم أن يرد عليه مثلها فلا يقول : صباح النور، بعد أن يسمع تحية الإسلام .

ثم قال (لنا عملة واحدة هي السلام عليكم ورحمة الله وهي التي تصعد إلى السماء وغيرها مستهلك لا يرتفع من الأرض)

والمحذور حيث نهاك عن الغيبة، وعن التجسس ، واجتناب الظن. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا) فما على المؤمن إلا السمع والطاعة. كما أنه سبحانه

وتعالى نهانا عن السخرية فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَابِ). حينما عبر الحق وقال (لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ

مِّن قَوْمٍ) دخل فيها النساء. لكن خصهن بالذكر، لأن المرأة

تهتم بالخلق، ومن رحمة الله بهن أن جنبهن بعض

الأمراض كالصلع الذي يكون في الرجال ، لكنه بعيد عن

النساء، والمرأة مقياسها المنظر والمظهر، والرجل قياسه المخبر

وكذا الحول والخنف كلها أمور تعيب المرأة لو وجدت فيها .
لكنها متحملة في الرجال . والمرأة مسموح لها أن تتزين ،
لكنها لا تخرج على المنهج . والأمر الذي تعاب عليه المرأة
أن تتزين كأحسن ما تكون عندما تريد الخروج من المنزل .
أما في المنزل فربما لا تهتم بزینتها وهذا ما يرفضه الشارع
الحكيم ، وينفر منه .

وكما قلنا: التقوى فعل المأمور، وترك المحذور (افعل
ولا تفعل) وهناك وقت بين المأمور والمحذور بمعنى غير
مخاطب فيه بفعل أو ترك . بم نشغل هذا الوقت .؟

وقت الفراغ علينا أن نملأه بالنوافل: والنوافل هي الأشياء
التي إذا فعلتها أثبت عليها وإذا تركتها لا تعاقب، وعليك
أيها المسلم أن تتعبد بما شرع الله بلا إفراط ولا تفريط .
وضرب المثل بشرطي مر أمامه ضابط يحببه فلم يرفع يداً
واحداً لتحيته، بل رفع يديه معاً . بهذا خرج عن المعقول .
وشأن الابتداع في الدين مثل هذا . بمعنى أن أية زيادة
عما شرع الله أفسدت العمل . ثم قال الشيخ إن العبودية
التي رفعت العبد لفعل الفرائض هي العبودية التي ستدفعه

إلى فعل النوافل. وهذا معنى قول الحق " ما تقرب إلى عبي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه.. ولهذا فلا يرفع العمل إلى السماء إلا إذا كان مرفوعاً بطابع العبودية. بدليل قوله سبحانه وتعالى: (سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) ولم يقل (نبيّه) ولو قال (برسوله أو نبيه) لأغلق باب الخروج إليه أمام خلقه. لكنه الرحمن الرحيم . فتح باب المعراج إليه في اليوم خمس مرات بالصلاة. " الصلاة نور وبرهان - الصلاة معراج " وأفضل النوافل الصلاة. بعد هذا القرآن: وكانت الصلاة هي الأولى لأن فيها قراءة القرآن ، وزيادة عليه، ثم في المرتبة الثالثة ، تأتي الأذكار المشروعة " وتقرب " تفيد المبالغة في طلب القربة. كما قال علماء اللغة : زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . وزيادة المبنى جاءت من التضعيف (الشدة) في تقرب، ثم ضرب الشيخ مثلاً فقال: إذا كان الطائر لا يطير إلا بجناحين ، فكذلك العبد لا يتقرب إلى ربه إلا إذا فعل المأمور، وترك المحذور. ثم قال الشيخ : إذا لم تستطع أن تملأ الفراغ بالنوافل أو الذكر ، فخيرٌ للمسلم

الصمت مصداقاً لقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما معناه (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً**
أو ليصمت) ثم طرح سؤالاً : كيف تتقرب إلى الله سبحانه
بترك المحذور ؟ والترك عدم ، وهو جانب سلبي ! قال إذا
تركت شيئاً لله فلتصحبك عزيمتك على ألا تفعل ما يغضب
ربك: العزيمة وعقد النية ، عمل إيجابي يؤجر عليه المسلم .
إذا فالذي ينقصنا استحضار عزيمة الترك، ولذلك نبهنا إلى
نقطة يقع فيها الكثرة الكثيرة من الناس ، إن لم يكن الكل .
قال : إذا ذهبت أيها المسلم لتنام ووجهها إليك سؤالاً ،
نقول لك : متى تستيقظ ولم ؟ ستكون الإجابة تلقائياً
لأذهب إلى عملي . ولن تقول سأستيقظ لأصلي ثم أذهب إلى
العمل ، فاستحضار الإتيان بالصلاة أمر غير وارد على
فكرنا !!

إذا اتجهت إلى النوم فاعقد العزيمة على أساس أن تقوم
للصلاة، ثم اضطجع على جنبك الأيمن وقل كما قال
الرسول عليه الصلاة والسلام: " باسمك ربي وضعت جنبي ،
وبك أرفعه ، فإن أمسكت روحي فارحمها ، وإن أرسلتها

فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين" ويجب على المؤمن عند استيقاظه من النوم أن يشكر الله أن منحه الفرصة يوماً آخر في حياته، يعبد فيه ربه. نعجب للإنسان إذا نزل به مرض وأحضروا له الطبيب فشفي من مرضه يتحدث كل يوم مادحاً هذا الطبيب، مقدراً له ذكاءه، وقوة علمه. لكن الذي يوقظك كل يوم، ويتجلى عليك بالصحة، ثم يتولاك بالرزق، لا نصيب له عندك . حيث لم يتحرك خاطرك يوماً ما لشكره. وهذا ما عناه الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: (**إنما الأعمال بالنيات**) ... الحديث ثم وجه للحاضرين سؤالاً: هل يستطيع أحد من الجالسين أن يؤكد ويقول: " إني لم أزن " أظن ذلك بعيداً أن يسلم من هذا إلا قليل: وفي ذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام ما معناه: (**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى. فهو مدرك ذلك لا محالة** ...) فالعين تزني ، وزناها النظر، والأذن تزني ، وزناها الاستماع ، والقلب يزني ، وزناها التمني، والفرج. أما أن يصدق هذا أو يكذبه. ثم تابع الحديث بقوله : هل الذي يزني بعينه وينظر إلى ما حرم الله: هل فكر

بعقله أن التي سينظر إليها إنما هي أخت مؤمنة؟ لو وضع المسلم هذا في ذهنه وآمن بهذا بقلبه، لن تتحرك شهوته وغريزته نحو الأجنبية. ولكانت هذه الأجنبية عنده بمنزلة أخته وهو لا يشتهيها حينئذ لتغير الموقف: لم هذا الفرق؟ لأن العزيمة قوية وثابتة بحكم تحريم الأخت في نظر الشارع الحكيم، لأن هذه العزيمة سابقة. من أجل هذا فإنه لا يشتهي محارمه. ثم قال الشيخ. إلى الآن لم نقرر في نفوسنا أن الزنى حرام كما حرمه الله. لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث ما معناه: **"سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل تعلق قلبه بالمساجد، وأخوان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين"**. ومعنى الإمام العادل: ليس هو رئيس الدولة فقط، بل كل موقع يكون فيه إنسان مسئولاً فهو الإمام لهذا الموقع أو المؤسسة بمعنى أن يعطي الإمام حق كل

إنسان تحت تصرفه (أعط كل ذي حق حقه) وعلى كل
مسئول في موقعه أن يحاول تغيير المنكر كما قال الرسول
عليه الصلاة والسلام ما معناه: (من رأى منكم منكراً
فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم
يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) ، أخوان تحابا
في الله " العلة الجامعة بينهم هي الحب في الله .

والحديث يقول ما معناه: (من أحب الله ، و أبغض الله ،
وأعطى الله ، ومنع الله فقد استكمل الإيمان) أقصى ما
يمكن من العبد أن يعمل له لأن لكل غرضاً وهوى في نفسه،
فحينما يتجرد من غرضه وهواه، ويتقيد بشريعة الله فهو
العبد المثاب إن شاء الله. وفي الحديث ما معناه: " أن الله
أرسل ملكاً وقف على مدرجة القرية (أي مدخلها)
وحينما سأل الماشي قال له إلى أين ؟ قال أذهب لزيارة
فلان ... فقال له الملك ألك عنده نعمة ترجى قال : لا .
قال الملك : ولماذا تذهب إليه؟ فقال أذهب إليه لأني أحبه في
الله. هنا قال الملك: أحبك الله الذي أحبته من أجله وفي رواية "
أبشر بالجنة " . (ولذلك قيل من أقرب القربات الحب في الله) .

وهنا قال الشيخ: لو أن أخاك الشقيق أساء إليك إساءة بالغة ثم رجع واعتذر إليك فما موقفك؟ قال الحاضرون لا شك أنه سيغفر لأخيه المخطئ زلته.

قال الشيخ: وهل تعطي أخاك في الله مثل هذا التسامح؟ ثم أجاب وقال: لو وصلت إلى هذا فعسى الله أن يجعلك من المبشرين بهذا الجزاء.

(وشاب نشأ في عبادة الله) فهو مستقيم قد اتصل نور الفطرة فيه بنور الإيمان ، فهو شاب كبج جراح شهواته ، فلا طيش ، ولا سفه ، و لكن دماثة خلق ، ورقة طبع ولنعلم جميعاً أن للشباب أمراضه ، وللكهولة والشيخوخة أمراضها .

(ورجل دعتة أو روادته امرأة ذات منصب وجهال) هنا يظهر أثر العزيمة الصادقة فلو كان المسلم ينظر إلى الأجنيات نظرتة إلى أخته لحماه الله من الانزلاق والوقوع في الشهوات . وحينما بين الحديث أنها ذات منصب وجهال . يبين أنها ليست سوقية ، ولا فتاة عادية ، بل هي شابة من وسط عال مثقف ، فوق أنها جميلة ، مع هذه الإغراءات التي تشد الفرد العادي إلا أن الله حماه ومكن العفة من قلبه ،

فلم يستمله جمالها، ولم يستهوه منصبها لأن الله قبَّلته
والشرف شعاره. (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا
تعلم شماله ما تنفق يمينه) .

لو تأملنا في ظاهر النص لوجدنا في ذلك استحالة. إذ كيف
لا تعرف الشمال ما تنفق اليمين لو أخذنا بهذا الظاهر لعلق
الحديث الأمر على مستحيل • يريد الحديث والله أعلم
بالمراد أن المتصدق حينما يريد التصدق يعلم أن هذا
صاحب حق فلا يتأتى أن يمن عليه أحد، كما أنه بالغ حينما
أعطى في الخفاء، كما لو أعطى أحداً مظلوماً به نقود وفي
تحفٍ شديد وضع المظروف بسرعة في جيب هذا الفقير. وضع
هذه الصورة أمامك. وضع في جانب آخر صورة مغايرة
لها حيث نادى المتصدق بأعلى صوته على فقير يمر بعيداً
عنه، ثم ناداه بأعلى صوته يا هذا خذ هذا المبلغ كي تشتري
به ما تحتاج إليه مثلاً: أظن أن الفرق بين العطائيين واضح
وجلبي.

ثم ساق الشيخ: (رحمه الله ورضي عنه) قصة طريفة
ملخصها: يقول: بينما كنت في زيارة لمدينة الخرطوم

بالسودان . وفي أحد مساجدها الكبيرة وجهه إلى شخص
سؤالاً مضمونه : ما رأي الشارع الحكيم لو أعطى لك رجل
حاجة ؟ قلت هذا رزق ساقه الله إلى هذا الشخص فعليه
أن يأخذه ، والدنيا خضرة حلوة من أخذها بإشراف نفس
لم يبارك الله له فيها . ومن أخذها بزهد بارك الله في هذا
الشيء .

واستدل الشيخ بما حصل لسيدنا عمر حينما أهدى إليه
أحد المسلمين بردة من حرير ، فقال سيدنا عمر رضي الله
عنه ماذا أفعل بها ؟ لا استعمال لها عندي . فقال
المصدق : إذا لم تنفعك فخذها وتصدق بثلثها . وإنما هذا
رزق ساقه الله إليك - بدون إشراف نفس - هذه هي
القاعدة ، ولهذا أخذ بهذه القاعدة بعض الأئمة فأفتوا
للذي شرب أو أكل ناسياً بصحة صومه وقالوا هذا رزق
ساقه الله إليك . فأنا أعطيت له الفتوى . ثم قال للشيخ لماذا
لم يقبل هذا الشخص - يقصد بهذا عالماً كان مع الشيخ -
ما أهديته إليه . قال الشيخ وأنا أعرف عزة نفس هذا العالم
الذي رفض هذه الهدية . وتصور من تقدم بهذه

الهدية إلى الشيخ العالم أن الشيخ هذا برفضه الهدية أنه
تعالى - تكبر-عليه ، فطيب الشيخ خاطره وقال : إن
الشيخ حينما رفض أعلن للناس أنه يتقاضى مبلغاً كبيراً فهو
ليس في حاجة إلى هذه الهدية ثم قال الشيخ (رحمه الله) :
لقد أفيتت بأنه ليس من حقه أن يرفض قبول هذه الهدية .
لأنه لو رفض لمنع الخير عن إنسان آخر غيره . وكانت
وجهة نظر الشيخ في فتواه أن الذي تقدم بالهدية لن يفكر في
أن يعطي أحداً أية هدية . فنحن بهذا نسد باب الخير .
واستدل الشيخ بحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما معناه: **اللهم إني أعوذ بك أن أقترف سوءاً أو
أجره إلى مسلم**. يقول الشيخ: وانتهى الحديث وصلينا
المغرب ثم استأنفت الدرس مرة أخرى حتى صلينا العشاء.
وحيثما أردت الخروج من المسجد بعد صلاة العشاء ازداد
الضغط واشتد الزحام عليّ فما كدتُ أصِلُ إلى باب المسجد
حتى ناداني شخص من آخر المسجد وقال انتظر يا شيخ
بصوت عالٍ. وظل ينادي (أنت يا شيخ) انتظر . يقول
الشيخ : فانتظرته وظل ينادي (حتى وصل إليّ

(شيخ يا شيخ أنا جايلك) ووصل الرجل الذي كان ينلادي عليّ من آخر المسجد . وكانت المفاجأة المذهلة حيث أخرج الرجل من جيبه خمسة قروش وأعطاهـا إليّ على مرأى ومسمع من هذا الجمع الغفير الحاشد) هنا ضج الحاضرون بضحك عالٍ ثم قال الشيخ (رحمه الله) قال أحسست كأنه يقول لي (انت يا مغفل ياللي بتفتي أما أشوفك هتعمل إيه) والسذاجة في هذا الموقف أمر لا يحتاج إلى بيان . ولتنظروا - رحمكم الله - إلى رد شيخنا (رحمه الله) قال : ووصلت إلى الرجل ، وأثيت عليه ، وشكرته عن عقيدة . ثم قلت للحاضرين . هذا رجل تفضل عليّ وهو رجل خير أحسن إليّ ، فجزاه الله خيراً . وعلقت على هذه الحادثة بحديث خاص نابع من قلبي واستمر تعليقي على هذا التصرف ساعة ونصف الساعة . ثم قال : أنا أعطيت فتوى ، فلم أجد رداً غير هذا . ثم رجع إلى توضيح قول الرسول عليه الصلاة والسلام " ورجل تصدق بصدقة " قال الشيخ وقدم لنا النصيحة الغالية .

(صدقتك هذه تصدقتها عن دافع من إلهام التقوى أقول لك ناصحاً:) **لا تمكن إلهام الفجور منك بأن يصدر منك من على المتصدق عليه لأنك بهذا تفسد صدقتك** .

وفي الإشارة إلى عمل جانب التقوى وعمل الفجور استطعنا أن نفهم معنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام:

(**حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**) ونشهد الله

أنها أول مرة نفهم هذا المعنى النبوي الدقيق الذي يغيب عن الكثرة منا، لأنه كما قال الشيخ (رحمه الله) ظاهر الحديث يعلق الأمر على الاستحالة، لو أخذنا بظاهر الحديث ، لكن الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليمات يريد أن يحذرننا من جانب إلهام الفجور، لأنه لو دخل من أي باب لأفسد الصدقة ، وأبواب الفجور كثيرة منها: المن ومنها رؤية النفس والإحساس بالعطاء، ومنها استغلال حاجة الفقير إلى آخر المداخل الشيطانية ثم قال الحديث (**رجل قلبه معلق بالمساجد**) قال الشيخ: لم كان التعبير (**بمعلق بالمساجد**)؟ إن ذكر (المساجد) المقصود به الصلاة مطلقاً ولكنها إشارة إلى أهمية الصلاة في المسجد. وإن أخذنا

كلمة (المسجد) على أنها مكان السجود فقلبه معلق
بالصلاة في المسجد أو في البيت مثلاً.

مثال: صلى الصبح، فقلبه متعلق بصلاة الظهر، هناك
اتصال دائم حتى أنه في صلاة العشاء يهفو قلبه لصلاة
الصبح ... وهكذا.

وقد ضرب الشيخ مثلاً لذلك، كثيراً ما يسأل الإنسان منّا
زوجته عن طعام الغداء وهو يتناول الإفطار. ولم تكن كلمة
(متعلق) ليكون الذي علقه غيره حتى لا يدخل في ذلك
المؤذن وأئمة المساجد. ولكن هذا المسلم جعل الله قلبه معلقاً
بالمسجد. (ورجل ذكر الله).. الحديث : بين الشيخ أنه بكى
في خلوته بعد أن قارن بين عطاء الله وتقصيره في حق ربه
فبكأؤه في الخلوة دليل على عدم نفاقه. وعلى أنه عبد
أحس بمراقبة ربه له. فأحس بتيار العبودية يسري في جسده،
وأحس بصحوة قلبه فاستجابت العين لهذه الصحوة، لتشهد
ربها تلك الدموع على الإنابة، وشهود التقصير.

وفي نهاية حديث (**سبعة يظلهم الله**) ضرب الشيخ
لنا مثلاً استطاع به أن يبين إلى أي مدى كان الإيمان عند

هؤلاء السبعة. قال. حينما تقرر المؤسسة أو يقرر المختصون أن هذا الجرار أو أن هذه السيارة حمولتها ٣ ثلاثة أطنان مثلاً: هل معنى هذا أن السيارة التي قوتها أن تتحمل ٣ ثلاثة أطنان أرز فعلاً هل تحمل ٥ خمسة أطنان عسلاً أو قمحاً مثلاً؟ لا شك أن هذا خطأ. إلا أن المعنى أن هذه الحمولة هي التي تحملها السيارة، أو يحملها الجرار مع صرف النظر عن النوعية فإذا قلنا أن حمولتها ثلاثة أطنان، يستوي في هذا الأرز، أو العسل أو غيرها. نقول في تطبيق هذا الحديث: إن الإيمان في الإنسان له مستوى معين يصل عنده فعندما يبلغ المسلم درجة قوية من اليقين يكون تصرفه حسب هذه الدرجة من الإيمان ، فلو كان إماماً لعدل. ولو كان أمام امرأة جميلة جمعت من الجمال الخلقي الكثير مع عظم مكانتها لكان رده كما بين الحديث الشريف: ولو كان متصدقاً لأخفى صدقته. فهو في جميع أحواله يتصرف حسب درجة إيمانه، فهو لا يمين على فقير، ولا يرأى... الخ هذه الأحوال . وحول سؤال عن تفسير قوله تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)

قال الشيخ . . (**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**) (في) تفيد
الظرفية كل ما يحدث فيهما من الأحداث التي تناسبها، وهذه
الأحداث إما حق، وإما باطل، وإما خير وإما شر وما يحدث
على ظهر البسيطة (**لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ**) بمعنى أن
أصحاب العقول السليمة النيرة هم الذين يدركون هذا
ويستفيدون من اختلاف هذه الظواهر. وهذا يدل على
أنهم قوم لهم مكانتهم - أولو الألباب - أرباب
القيادات العلمية هذا هو المقياس الديني تناولت الآيات بعد
هذا من هم أولوا الألباب ؟ (**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا**
وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) قِيَمًا - مقابل فعل المأمور، وقُعُودًا
- مقابل ترك المحذور (**وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ**) مقابل نزول
القضاء والقدر على الإنسان، وليس له فيه دخل، بل يلقاه
مستسلماً راضياً بما قدر. فالقضاء أحياناً يترل بالإنسان
ويكون له دخل فيه، كما إذا اعتدى شخص على آخر
فأغلظ الرد له وناله من الأذى ما ناله. هذا الصنف ، له
دخل في القضاء الذي نزل به. أما القضاء الذي لا دخل
للإنسان في نزوله فالأمثلة كثيرة كالحوادث التي تترل

بالإنسان والمرضى ، إلى غير ذلك من الأمور التي لا يتسبب فيها فاعلها قال تعالى : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)

يتضح مما قلت أن قول الله تعالى (وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) خاص بالقدر الذي يجري على الإنسان ولا دخل له مطلقاً كانطفاء النور فجأة دون دخل منا، وكجرح الاصبع عند بري القلم إلى غير ما سبق من أمثلة ومعنى (أُولَى الْأَلْبَابِ) : يقومون بأمر الله ويفعلون بأمر الله. ويتركون ما يتركونه خوفاً من الله. وإذا جرى عليهم أمر الله في الأحداث والأفعال واجهوه إذا كان خيراً بالشكر، وإذا كان شراً بالصبر. (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) .

ثم تناول قول الحق : (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا . إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) القول يسير، لأنه لم يشترك فيه أحد. لكن الفعل كي يتحقق لا بد له من عناصر أخرى. الحدث + الزمن + من قام بالفعل. هذه العناصر الثلاثة

ضرورية عند إحداث أي فعل، وضرب المثل بمن يريد أن يذهب إلى بيته لأبد من سيارة، ولابد من زمن كي تقطع المسافة التي نريد، لأنك لن تصل إلى البيت بقولك " كُنْ، فيكون وأنت محتاج إلى الحياة كي تنفذ ما تريد، فرما يفجؤه الموت قبل الوصول إلى الباب (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا) الغد هو الوقت الذي يلي القول. والذي تقصده: أن الإنسان حياته محددة محددة من الله. لهذا فهو لا يملك دقيقة واحدة يعيشها. بل هذا كله مرتبط بمشيئة الله وقدره. لكي يسلم المسلم في دينه وعمله فعليه أن يتذكر القدر في كل لحظة لأن حياته وأنفاسه بيد خالقه. والمخلوق لا ينفك عن الاحتياج لخالقه لحظة واحدة من الزمان. فعليه أن يضع هذا نصب عينيه. بحيث لا تغيب هذه المعاني عن استحضارها في قلبه. ولذلك أتبع هذه العبارة بقوله سبحانه وتعالى: (وَاذْكُرِّيكَ إِذَا نَسِيتَ) جميل ما قاله الشيخ ، حيث وضح العبارة في يسر وسهولة. فقال : عند البدء في العمل ، قد لا تذكر ربك. وعدم ذكر الله إما جحوداً ، وهذا خاص بالكافر، وإما عن نسيان. ومثل هذا يقع من

المؤمن ، الحق يقول: إذا لم تقل ذلك إلا أن يشاء الله وادعيت أنك تملك الوقت وتملك طريقة الوصول ، وتملك حياتك : إذا نسيت كل هذا يقول لك الحق : عبدي لن أحاسبك عما صدر منك ، إذا كان عن نسيان. فإذا لم تذكرني في البداية اذكرني عند النهاية وستجدني رباً غفوراً ثم ارجع إليّ في طلب الهداية حتى تفوز مع الفائزين (وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) .

والمؤمن يقرر في البداية أنه لن يتزل به قدر إلا إذا أراد الله، وقدر ذلك.

(وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) بهذه الآية الكريمة ، وبالعامل بمقتضاها يهيئ المسلم نفسه لكل ما يأتي به القدر ، حتى يتقبل ما يتزل به بنفس راضية، وقلب مطمئن وحينئذ تقول كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ) أي لا ما شئت أيها العبد ، ثم طرحت عدة أسئلة منها المناسب للموضوع ، ومنها غير المناسب على سبيل المثال. طرح سؤال عن طفل الأنابيب مما دعا الشيخ (رحمه الله) إلى أن قال : نحن خرجنا عن الموضوع الذي

كنا بصدد، وأظننا بعدنا كل البعد لكني أختتم ليلتي
بحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه (**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك... الحديث**)
ثم قال هنا سؤال: ما هو الحفظ الأول ؟ وما هو الحفظ
الثاني؟ ولماذا قال احفظ الله يحفظك ؟ وفي الثاني تجده تجاهك؟
نقول: المعنى احفظ الله فيما أمرك به أداءً يحفظك فيما نهاك
عنه. احفظ الله تجده تجاهك في المستقبل ، أما الأول فمرتبط
بالحاضر. فإذا ما أدت ما عليك في كل ما أمرك به، فإن الله
يحفظك: أما المستقبل فإذا حفظت صفات الله مستقبلاً تجده
معك بالتوفيق.

والخلاصة (**اتق الله وافعل المأمور يقيك في المحذور**) ثم
عرج على الصلاة بقوله: (**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ**) وأتى بالفعل المضارع (**تَنْهَى**) لأن ثمره الصلاة
المقبولة لا تنتهي ، لأن الشيء الوحيد الذي يصلح حال
المسلم ويجعله دائماً مراقباً ربه إنما هو الصلاة • كحد أدنى
تنهاه في الوقت التي تؤدي فيه • وإذا كان فيها قبول ،
فإن أثرها يمتد إلى الوقت الثاني ، وهي مكفرة للذنوب

والصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر - ثم قال رضي الله عنه (**كل ذنب وقع منك على غير إصرار منك فهو لمم**).

ومعلوم أن اللمم مغفور لصاحبه إذا ما تاب منه المسلم . الإصرار هو الذي يضحّم الذنوب . وضرب مثلاً لمن أراد أن يزني فسافر إلى القاهرة ليرتكب جريمة بعيداً عن أعين معارفه - كل الوقت الذي سافر فيه هو مصر على المعصية . لو قارنا هذا بشاب كان جالساً في بيته لا يفكر في شيء وفجأة وجد أمامه شابة تسأله عن شيء ، ولم يزل الشيطان به حتى أغضب ربه ، والعياذ بالله. هل تجعل هذا مثل الذي سافر إلى مصر ، وارتكب الجريمة ؟ إن البعد شاسع بين الموقفين علماً بأن الجريمة واحدة. ونعوذ بالله من ذلك.

مع ملاحظة: أن كلمة (**ألثم**) لا تجيء إلا في المكروه. مثلاً فلان ألثم به المرض. بهذا فحجم الأمر والإثم في الأول أكبر من حجم الجريمة في الثاني.

(**احفظ الله تجده تجاهك**) ثم توجه أحد المستمعين بسؤال عمن أراد والعياذ بالله أن يرتكب الجريمة ثم رجع عن فعلها

فما الحكم ؟ أجاب الشيخ (رضي الله عنه) إذا رجعت عن الفعل خوفاً من الله استبدل الله سيئاتك حسنات. لكنك لو رجعت لأنك لم تجد من كنت مُتَّفَقاً معها على ارتكاب الفاحشة كنت محاسباً كمن أداها فعلاً. (وَلَا يَظْلِمُ رُبُّكَ أَحَدًا). واستدل الشيخ بحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه: (... إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) .

فسبحان من قلوب الخلق بين يديه ، يقلبها كيف يشاء .
والله نسأل أن يهديني وإياكم صراطه المستقيم ، وأن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وسبحانك اللهم وبحمدك. نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.